

أحمدي نجاد ودبلوماسية الرسائل

: بثت القناة الرابعة البريطانية الأسبوع الماضي رسالة تهنئة موجهة للمسيحيين من الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد. الرسالة بُثت في إطار التقليد الذي تبنته القناة خلال السنوات الماضية لبث رسائل تهنئة في عيد الميلاد من شخصيات متعددة رياضية أو فنية أو سياسية. رسالة الرئيس الإيراني تبدو لافتة للنظر من حيث توقيت بثها ومن حيث الخصوصية التي يتمتع بها الرئيس الإيراني في الإعلام الغربي عامة والإعلام البريطاني بشكل خاص.

رسالة الرئيس أحمدي نجاد كانت قصيرة نسبياً ومنتقاة في كلماتها. لم تحتو على أية مفردات هجومية، وحتى الانتقاد جاء بطريقة لا تثير المتلقي، مفعمة بالكلمات التي تتحدث عن الأديان السماوية والقيم المشاركة التي تحملها. الرسالة ذكّرت بالقيم التي دعا إليها عيسى عليه السلام والتي جاء الإسلام ليؤكدّها. تحدثت الرسالة عن الظلم وعن التحديات التي تواجه الإنسان في الحياة المعاصرة، وكذلك أهمية القيم في المجتمعات الإنسانية التي من شأنها أن تحد من الظلم والتجاوزات التي تتعرض لها شعوب كثير في العالم. الرئيس أحمدي نجاد وفي تعريض غير مباشر بالولايات المتحدة تحدث عن أن عيسى عليه السلام لو جاء الآن وشاهد الظلم والتجاوز الموجود في العالم فإنه سيقاوم ذلك بشدة.

الرسالة التي جاء بثها قبل بث رسالة التهنية من قبل الملكة إليزابيث أثارت انتقاد وزارة الخارجية البريطانية معتبرة أن خطوة القناة الرابعة ترويح للرئيس الإيراني. في نفس السياق انتقد حزب المحافظين خطوة القناة مشيراً لتصريحات الرئيس أحمدي نجاد التي أعاد فيها مقولة الإمام الخميني حول محو إسرائيل عن الخريطة. يشار هنا إلى أن الرسالة قد تم التخطيط لها في سياق زيارة قامت فيها مجموعة من صحافيي القناة الرابعة قبل ثلاثة أشهر برئاسة مديع الأخبار المشهور في القناة جون سنو، وقد تم بثها باللغة الأصلية مع ترجمة إنجليزية ظاهرة على الشاشة.

دبلوماسية الرئيس الإيراني عبر الرسائل السياسية المعلنة تبدو جذيرة بالتوقف عندها، فالرئيس أحمدي نجاد كان قد أرسل برسالة إلى الرئيس الأميركي المنتهية ولايته جورج بوش في مايو 2006، تلك الرسالة التي جاءت حسب مصادر إعلامية في 18 صفحة، وقد تجاهلها البيت الأبيض ولم يرد عليها، ثم اتبع ذلك برسالة إلى المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل في أغسطس 2006. الرئيس الإيراني وجه كذلك رسالة تهنئة للرئيس الأميركي المنتخب باراك أوباما. كل هذه الرسائل كانت تحمل رؤية الرئيس أحمدي نجاد حول جملة من القضايا العالمية، برزت فيها واضحة الرغبة في التواصل مع الآخر، لكنها لم تجد الأذن الصاغية لها. الرد الوحيد الذي كثيرا ما يتكرر هو أن تلك الدول تريد أفعالا وليس أقوالا، وهي المسألة التي لا يمتلكها أحمدي نجاد وحده في المؤسسة السياسية الإيرانية. الرئيس باراك أوباما كان الوحيد الذي وعد برد على هذه الرسالة لكنه فضل تأخير ذلك لحين توليه مهام منصبه.

إن دبلوماسية الرئيس الإعلاني عبر الرسائل السياسية العلنية تشير إلى أن المقصود منها ليس الرؤساء فحسب بل الرأي العام في تلك البلدان كذلك. لقد بدا واضحا أن الإعلام كان يركز على تصريحات الرئيس الإيراني سواء حول إسرائيل أو حول البرنامج النووي الإيراني بشكل كبير، ويبدو أن الصورة التي رسمها الإعلام الغربي للرئيس أحمدي نجاد كانت غير إيجابية، وقد بدا واضحا في التجاذبات الإعلامية بين الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي الذي تحدث أنه لا يتخيل أن يتصافح مع الرئيس أحمدي نجاد، فرد عليه الرئيس الإيراني أنه هو أيضا لا يطمح إلى أي مصافحة مع ساركوزي.

رسائل أحمدي نجاد يمكن أن تُقرأ في سياق تجاوز الانتقادات التي وجهت إليه بسبب عدم تحقق الوعود التي قدمها خلال حملته الانتخابية، وكذلك الإخفاقات الاقتصادية وعدم الاستفادة من الارتفاع الكبير لسعر برميل البترول خلال عام 2008. من هنا يمكن فهم هذه الرسائل كمحاولة لتجاوز الإخفاقات الداخلية والتعويض عن ذلك من خلال التواصل مع الرأي العام الدولي. محاولة ربما تحقق بعض الاختراقات لكنها بالضرورة ستكون محدودة جدا لاسيما إذا أراد الرئيس خوض غمار الانتخابات الرئاسية القادمة في يونيو 2009.

mzweiri@aol.com